كابوس



خديجة أزلماض

قصة قصيرة

كابوس

خديجة أزلماض

في وقتنا الحالي ، أن تستيقض و بجانبك فتاة أمر إعتيادي بعد ليلة من السعادة و الثمـالةِ، لكن الغريب في الأمر أن تستيقض و بجانبك جثـة فتاة متوفية.

و المُفجـع أن هذه الأنثى تكون زوجتك التي تحبها .

هذا ما حدث لـ إيريك عندما إستيقض صباح اليوم على جثـة زوجتهِ المغطاة بالدماء ، و بين يديهِ أداة الجريمة .. كانت عبارة عن سكين حاد مليئ بالدماء ، و جسدها مشرّحٌ بالـكامل ، أولم يكن مساء البارحة ذكرى زواجهم الرابع عشر؟ و إحتفلو بهِ ، كل ما يتذكرهُ إيريك أن زوجتهُ ماريا البارحة كانت سعيدة بعدما أرسلوا أولادهم برحلة للتخييم خارج المدينة لـ أسبوع لـتختلي بـ زوجها .

كيف يستيقض على جُثمانها الشاحب و الفاقد للحياة !! ..

لـم تختلف ملامح إيريك الخائف و المذعور ، حسـنهُ المكتسىٰ بالشحوب ملامحهِ عن ملامح زوجتهِ المقتولة ! ، بل كان أشحب و أكثر .

كان يرتجف بحـدة بينما ينادي بإسمها بهمسٍ 'م...ا...ر..يا' ، و لكن لا جواب يستلطف مسامعهُ و يهدئ من روعهِ المسكين بحالـة يرثىٰ لها حقاً .
وقف على قدميهِ التي بالكاد تحملـهُ يتوجه صوب سريرهم المشترك و الذي كان بأغطيتهِ الزرقاء الحريرية ممتلئ بالدماء و رائحة سيئة يَـختنق الجو بحضورها ، كلما إقترب لـ جثـة زوجتهِ فُجع أكثر لطريقة قتلها ، كانت عينيهاَ هي الأخرىٰ مفتوحة على مصرعيّها بينما وجهها شاحب و شفتيها

مُبيّضة بالكامل .

لاحظ تجعد يديها كأنها كانت تقبض على شيئ ما بينما أناملها مكسرة الأظافرة و جلدها يحتوي على نذوبٍ جديدة و أثار ضربٍ من الواضح أنها كانت تقاوم قاتلهـا .

و ثـوب نومها كان ممزق بالكامل و عنقها الأبيض كانت به أثار أصابع كأنها تعرضت للـخنق .

إقترب أكثر بينما يبكي ليرى كيف عيونها الجميلة فارقت الحياة و فؤادها لم يعد ينبض لأجلهِ ، ذاك الفؤاد الدي لطالمـا إحتضنهُ و ربتَ على خوفـهِ ليهدأ .

كان قد أُخرج عقله من أثار الصدمة ف بدأ يصرخ عالـياً بإسمها و يبكي ، بينما فشلت قدميةِ بحملهِ ليقسط أرضاً بينما يبكي ولازال يصرخ بإسمها .
هو حقاً يدعوا أن يكون موتها عبارة عن كابوس مفجع سيستيقض منهُ قريباً ، كان يمسك أناملها المخدوشة و يبكي بقلة حيلة ، عندما أسدل رأسه للأسفل رأى ملابسه الملطخة بالدماء ! و أظافرهِ أيضا تحتوي على دماءٍ قـد تجمدت بهم ، ولكن يتذكر لم يلمس أيٌ من دمائها أبداً بل كان يناظرها من بعيد فقط كيف وصلت دمائها آلى ملابسـهِ ؟.

هل يعقل أنه الفاعل؟

...

إيريك لم يكن يعلم مالذي عليهِ فعلـه بتاتاً خصوصاً عندما يفكر بأطفالـهِ مالذي سيخبرهم إياه؟

إستيقضت صباحاً و المفاجأة والدتكم متوفية؟ لا ، لقد قُتلت على سريرنا؟...و

أنا المتهم بالقتل؟

هل سيصدقـه أحد؟ .

إتصل بالإسعاف يـُعلمهم بالأمر و منذ حينها و الصراخ و الفاجعة عـمّت الحيّ كلياً بدأ الكلام يـُسمع عـالياً كيف لرجلٍ أن يقتل زوجتهُ بهذا الشكل المُفجع و بدأت السخريات و الشائعات تخرج عنهم .

بينما إيريك كان فاقداً لـأعصابه تماما كان يصرخ بهذا و يؤذي ذاك ، يضرب نفسهُ و يصرخ بجملة واحدة 'لست أنا من قتل ماريا' ...

أتت الشرطة و إعتقلتهُ بما أن جميع الأدلة منسوبة إليه ، إضافة إلى تيابـهِ الملطخة و الممزقة .
كان بالـمخفر ينتظر خيراً عن زوجتهِ و أتاه الضابط المسؤول عن قضيتهِ و أخده الى غرفة الاعتراف و كان إيريك فقط يقول الحقيقة و لكن لا أحد يصدقهُ أبداً .

أضاف الظابط بجهورٍ و علوّ بينما يقرأ نتيجة التشريح الخاصة بزوجة الماثل أمامهُ'مالذي لا تستوعبهُ أنت! زوجتك قد قمت بقتلـها و شرحت جسدهاَ ناهيك عن أثار الخنق و التعنيف من الضرب و الجرح على جسدها ، كسرت أظافرها؟ لما؟' ، بدأ إيريك يرتجف و يقضم شفتيهِ بقلة حيلة حتى لو اعترف أنه بريئ سيُعاقب و اذا قال ما يريدون سماعه سيعاقب ..

زفر الضابط بقلة حيلة يغلق جفونه بعصبية مفرطة

'أنظر يا سيد إيريك أنا أتفهم صدمتك لكن يجب عليك الاعتراف لتخفيف مدة سجنك أولست تريد الحرية؟ إذا إعترف' .

ناظـرهُ إيريك بعيونهِ الدامعة ليقول بهمس' أقسم لك يا سيدي أنني لست

بقاتلها و أقسم أنني أحبها هي زوجتي منذ فترة طويلة و لديّ معها أطفال كيف أقتلها؟ أقسم لست الفاعل' ، 'إذا لنفترض أنك تقول الحقيقة من القاتل؟ و أين كنت عندما كان يقتلها فوق سريرك؟' ..

من جهة الظابط محق أولم يشعر بأي شيئ من مقاومة زوجته أو صراخها؟

كان المنظر بشعاً أن يتذكر عقله تلك الحادتة كيف سيتخطاها !.

...

مرت أربعُ ساعات بعد أن أخبره الشرطي انه سيتم تقديمه للمحكمة من اجل الاستماع إلى الحكم المنسوب إليه .

و ذلك ما حدث كان يقف بملابـسهِ الخاصة ب المجرمين ، كان بذلتهُ بدرجة غامقة من الأزرق لأنه محكوم عليهِ بأنه قاتل ، كان يناظر عائلتهُ تجلس بجهة و عائلة زوجتهِ بجهة أخرىٰ ..

بينما أطفالهُ الصِغار يجلسون بمقاعد يَبكون عندما رأو والدهم هناك مقيد بأغلالِ السجن ..

بقلة حيلة هو بكىٰ و عينيهِ تنظر إلى أطفالـهِ فقط و يفكر لماذا أوصلهم إلى هذه الحالة .

حينها نطق القاضي بينما يجذب مسامع الحاضرون جميعا بصوته الهادئ و هو يتلو العقاب .

'وفقاً للعقود المعروفة و القواعد المنصرمة على إثر الجريمة التي أحدثهـا السيد إيريك البالغ من العمر الرابعة و الأربعون بـحق زوجتهِ ماريا البالغة من العمر الرابعة و الثلاثون و المتوفية بـ دجنبر و نظراً لإسناد جميع الأدلة

بحقـه إضافة إلى التشريح الطبيّ الخاص بالجثة ، فـ بصفتي القاضي أحكم على السيد إيريك بالإعدام ، رفعة الجلسة' .

الإعدام؟ و أطفاله؟ أحلامه ، مستقبله؟ وظيفته؟...

أين ذهبت حياتهُ و الحب الذي كان يكنـهُ لـ ماريا ...
كانت عيناهُ مَفجوعتان عندما رأى أمهُ فاقدة للـوعي و أطفالهِ يبكون بدون أن يكون بعلمهم مالذي يـحدث أبداً .

أغمض عينيهِ يبكي بـصمت .

بينما زار مسامعهُ صوتاً مؤلوفاً يمحي جميع الأصوات من رأسهِ بـحضورهِ كان يعرف هذا الصوت جيداً هو صوت زوجتـه مارياَ كانت تناديهِ بصوتها الرقيق بينما تردد 'إيريك عزيزي إستيقض إنه كابوس'

كابوس؟ ، فتح عينيهِ يتوقع أن يكون بساحة الإعدام لكنهُ كان فوق سريرهِ الدافئ و كان يعانق أطفالهُ الخائفون عل حاله عندما رأوه يرتجف و يصرخ باكياً وهو نائم ذالك أفزعهم ، ناظرهم بصدمة كيف؟ كان يعانقهم بشدة كان يخاف أن يرمش فيختفون من أمامهِ .

ماريا ، زوجته تجلس أمامه تمسك بكتفهِ و تمسح عن وجههِ قطرات العرق و دموعهِ التي كلما مسحتها إنسكبت أكثر إقترب يعانقها بين أضلعهِ يخفيها هناك من هول ما يشعر بهِ .

لتقول هي بصوتها الجميل 'ما بك عزيزي منذ البارحة و أنت تمتم بنومك ، لا بأس أنظر أنا هنا أمامك حبيبي و ها أطفالنا كذلك في حضنكَ' سكتت تقبل عيونهُ الدامعة و ملامحه الحزينة لتبتسم قبل أن تقترب أكثر تحيط وجنتيهِ بدفئ أناملها 'أنظر هو كابوس فقط و قد مرّ هل حدث أمر جعلك بهذا الفزع

كلياً؟' .

سكت هو يدخل بحضنها و تبادله هي العناق بحنانٍ مُفرط كان يرتجف بحضنها كـ طفل صغير أخطأ و تعرض للـعقاب .
بعد وهلةٍ قال بهدوء 'أهٍ يا ماريا كيف لـكابوس كذاك جعلني بهذا الخوف عندما رأيت نفسي بلا حول لي و لا قوة أخسرك و أفتقد وجودك معي ، حياتي يا ماريا تدمرت كلياً عندما ذهبتي عني' .

بقيت هي على ذاتها تعانقهُ و تسترسل كلمات لطيفة و تعاتب حُسن ملامحه على الحزن الذي كان يعانقها.

في النهاية كان كابوساً رغم أنه كان بشعاً و سيئ إلا أن إيريك مُمتن أن الأمر بقيّ محسوم على أنه كابوس فقط .

بعض الأحلام رغم بشاعتها سنبقا دائما سعيدون لأنهم أحلام فقط و ليسو ضمن الواقع .

. النهاية